مفهوم الشركة الكنسية

KOINONIA

(٦)

الأب أنتوني م. كونيارس

الكنيسة هي جسد المسيح، لذلك عظيمٌ هو حُبُّ المسيح للكنيسة حتَّى إنَّه يعتبر نفسه غير كامل - إذا جاز التَّعبير - لو لم يكن قد وحَّد بنفسه كجسده، الكنيسة، أي أنتَ وأنا!

يلزمنا بالطَّبع أن ندرك هنا أنَّ التَّشبيه ليس صحيحًا تمامًا، ففي التَّشريح، لا يُمكن للرَّأس أن توجَد من غير الجسد، لكن السيِّد المسيح كابن الله الأزلي كان موجودًا منذ الأزل بدون الكنيسة كجسده.

الله بدون الإنسان لا زال هو الله، ولكنَّ الإنسان بدون الله لا شيء. ومع أنَّ هذا حقيقي، فإنَّ ما قاله القدِّيس أوغسطينوس هو أيضًا حقيقي:

[من غير الله، نحن لا نستطيع شيئًا، وبدوننا، الله سوف لا يعمل].

لماذا؟ لأنَّ الله اختار أن يعمل من خلال جسده، الكنيسة، وبمعنى آخر، من خلالنا.

يشرح د/بيتر بوتنيف Dr.Peter Bouteneff هذا التَّعليم كالآتي:

«المسيح رأس الجسد» (أف ٥: ٢٣). **الجسد والرَّأس مرتبطان بشكلٍ وثيقٍ، لكن بالإضافة إلى ذلك فلديهم نوع من الاعتماد المتبادَل على بعضهم البعض. لا يوجد جسد بلا رأس، كما لا توجد رأس بدون جسد.كما يقول القدِّيس بولس إنَّه لا يستطيع أيٌّ منهما أن يقول للآخَر: "أنا لستُ بحاجة إليك"** (١كو ١٢: ٢١).

لو أخذنا هذه المعاني إلى أقصى مداها، ونقول إنَّ الكنيسة جسد المسيح، والمسيح رأس الجسد، فهذا يعني ليس أنَّ الكنيسة فقط يرأسها المسيح وتحتاج إليه تمامًا؛ لكن أيضًا بطريقة ما، فالكنيسة تكمِّل كيان المسيح، أو كما يكتب الأسقف كاليستوس وير Kallistos Ware **ويقول: "الكنيسة هي**

نتيجة التجسُّد، المكان الذي يقيم فيه التجسُّد نفسه ويوجد باستمرار"[1].

المسيح يعيش في هذه الأصابع العشرة:

وتعبير عملي عن هذه الحقيقة هي شهادة مبشِّر طبيب، فبعد عمليَّة استغرقت سبع ساعات قال: "لديَّ شعور رائع أنَّه لسبع ساعات كان المسيح يعيش في هذه العشرة أصابع! لديَّ إدراك لا يقدَّر بثمن أنَّ هذه الأيدي أصبحت أيدي يسوع جالبة الشِّفاء لأحدٍ من أولاده". كان على حق! هذه الأيدي كانت بالفعل أيدي الجرَّاح الأعظم يسوع المسيح.

يقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم:

[الكنيسة هي المكمِّل للمسيح بنفس الطَّريقة التي فيها الرَّأس تكمِّل الجسد والجسد يَكمُل بواسطة الرَّأس. لقد أعدَّ المسيح كلَّ الجنس البشري معًا ليتبعه، ليتمسَّك به، ليلحق بموكبه. لاحظ كيف يقدِّم القدِّيس بولس الله كأنَّه في احتياج لكلِّ الأعضاء، وهذا يعني أن اكتمال الرأس سيتم فقط عندما يبلغ الجسد إلى كماله، عندما نكون جميعًا معًا، متَّحدين ومترابطين معًا معه].

كرأس الجسد، يسيطر المسيح عليه ويعطي أوامر للأعضاء المختلفة. هو بمثابة المُخ؛ الشَّخص الذي فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسديًّا: **«الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيرِ المَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ»** (كو ١: ١٥ – ١٨).

يا له مِن امتياز يمنحنا إيَّاه الله عندما يربطنا بشكل وثيق مع المسيح ومع بعضنا البعض ليجعلنا نشكِّل جسدًا واحدًا. شركة واحدة Koinonia معه كرأس. عندما نتأمَّل هذا التَّشبيه، نتطلَّع إلى الصَّلاة كأعضاء الجسد (الكنيسة)، الذي يُعطي الاحترام الواجب للرَّأس، القائد الأعلى للكون، كما قال إشعياء النَّبي: **«ها أنا يا سيِّد، أَرسلني»** (إش ٦: ٨)، وليس كما يتأرجح آخَر ويقول: "ها أنا يا سيِّد، وسأفكِّر في الأمر"، أو: "ها أنا هنا يا سيِّد. ولكن أرسله هو"، ولكن: "ها أنا هنا، أرسلني".

---

(1) *Beyond the East/West Divide*. Anna Marie Aagard and Peter Bouteneff. WCC Publications. Geneva,Switzerland. 2001

المُدافع المسيحي العظيم سي. إس. لويس C.S. Lewis يؤكِّد على أهميَّة دور كلَّ عضو في جسد المسيح يقوم به في خطَّة الله لإنقاذ العالم وخلاصه فيقول:

"ما نعرفه هو أنَّه لا يستطيع إنسان أن يخلُص إلَّا مِن خلال المسيح؛ كما لا نعلم إن كان فقط هؤلاء الذين يعرفونه يستطيعون أن يخلصوا مِن خلاله؛ ولكن في نفس الوقت، لو أنَّك قلق بخصوص النَّاس الذين في الخارج، فأكثر شيء غير منطقي يمكنك أن تفعله هو أن تقيم خارج كيان الكنيسة. المسيحيُّون هم جسد المسيح، الكائن الحيّ الذي يعمل المسيح من خلاله، وكلُّ إضافة لذلك الجسد تمكِّنه أن يفعل أكثر. لو أنَّك تريد أن تساعد هؤلاء الذين بالخارج يلزمك إضافة الخليَّة الصَّغيرة الخاصَّة بكَ إلى جسد المسيح الذي يستطيع مساعدتهم. إنَّ بَتر أصابع الإنسان سيكون طريقة غريبة لدفعه إلى القيام بالمزيد مِن العمل".

مواهب مُختلفة في الجسد:

يُدرِك القدِّيس بولس أنَّه يوجد في الكنيسة، كجسد المسيح، مواهب مختلفة، جميعها معطاة مِن نفس الروح، وخدمات مُختلفة جميعها يوجِّهها نفس الرَّب فيقول: **«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا .فَوَضَعَ اللهُ أُنَاسًا فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلًا رُسُلًا، ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ، ثَالِثًا مُعَلِّمِينَ...، وَبَعْدَ ذلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ، أَعْوَانًا، تَدَابِيرَ... أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ رُسُلٌ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَنْبِيَاءُ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ مُعَلِّمُونَ؟ ...»** (١كو١٢: ٢٧ – ٣٠).

وفي مكان آخَر يكتب ويقول: **«فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، هكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ . وَلكِنْ لَنَا مَوَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنُبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ، أَمْ خِدْمَةٌ فَفِي الْخِدْمَةِ، أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ، أَمِ الْوَاعِظُ فَفِي الْوَعْظِ، الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ، الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ، الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ»** (رو١٢: ٤ – ٨).

وكما أنه في الجسد، هناك أجزاء كثيرة، أعضاء كثيرة، يقول القدِّيس بولس إنَّه كذلك أيضًا في جسد المسيح يوجد أنواع مواهب مختلفة؛ وكما تعمل الأعضاء المختلفة في

الجسد لتشارك في صحَّة ووحدة الجسد، كذلك أيضًا في ذلك الجسد الآخر، الكنيسة، فإنَّ المواهب المعطاة بالرُّوح القُدُس هي لتخدم: «**لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ، لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ**» (أف ٤ :١٢ - ١٣).

فرنسيس دي سيل Francis de Sales القدِّيس الغربي وصف التنوُّع العظيم مِن المواهب في الجسد بشكل رائع عندما كَتَب:

"مساحيق تجميل أرواحنا متنوِّعة مِثل مساحيق تجميل جسدنا المادِّي، فكلُّ شخص له مواهب مميِّزة، وتنوُّعنا لا حدود له، فإنَّ: «مَجْدَ الشَّمْسِ شَيْءٌ، وَمَجْدَ الْقَمَرِ آخَرُ، وَمَجْدَ النُّجُومِ آخَرُ. لأَنَّ نَجْمًا يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ» (١كو ١٥: ٤١)**. هكذا هو الحال مع النَّاس، فإنَّ مواهب الله تأتي في تنوُّع لا نهائي.**

ليس مِن المفيد أن نسأل لماذا يحدث أنَّ شخصًا ما يتبارك بطريقة خاصَّة، لأنَّ نعمة الله فيها الكفاية لكلِّ واحدٍ منَّا (٢كو١٢ :٩). **لماذا البطِّيخ أكبر مِن الفراولة؟ لماذا تنمو زهرة السَّوسن أطول مِن زهرة البنفسج؟ لماذا نبات إكليل الجبل** rosemary **ليس وردًا** rose **أو نبات الديانثوس** dianthus **ليس قطيفة** glamorous؟ **لماذا الطاووس متألِّق أكثر مِن الخفَّاش؟ لماذا التِّين حلو بينما الليمون حامضي؟ هذه أسئلة سخيفة. جمال العالَم يعتمد على التنوُّع، فالاختلافات وما يبدو أنَّه مِن أوجه عدم المساواة أمر أساسي ولا مفرَّ منه، فهذا الشَّيء ليس ذلك الشَّيء.**

نفس الطَّريقة موجودة في البُعد الرُّوحي، فكلُّ واحد منَّا لديه: «موهبته الخاصَّة مِن الله، الواحد هكذا والآخَر هكذا» (١كو ٧: ٧). **ليس مِن الاحترام أن تسأل لماذا لا يملك القدِّيس بولس والقدِّيس بطرس نفس المواهب والقدرات. الكنيسة حديقة مليئة بتنوُّع عظيم مِن النَّباتات، ولكلِّ واحد منها جماله وجاذبيَّته، إنَّ التناسق بين ألوانها وتركيبها هو الذي يجعل للحديقة جمالها".**

(يُتبع)